



لاحظت وكالات استخباراتية غربية أن وحدات سورية تجري تحضيرات متقدمة لاستخدام محتمل لأسلحة كيماوية، من بينها تحويل الشاحنات بقنابل وقذائف جاهزة للاستخدام، مما دفع الرئيس أوباما الأسبوع الماضي لتحذير سوريا من مغبة استخدام ذخائر الأسلحة المحظورة، بحسب مسؤولين غربيين وشرق أوسطيين.

ولوحظ جنود بإحدى القواعد السورية يمزجون أسلحة كيماوية ويتخذون خطوات أخرى لإعداد ذخائر الأسلحة الفتاكه لاستخدامها في ساحة القتال، بحسب المسؤولين. كان هذا هو أول دليل قوي على أن سوريا تتجه صوب تشويط محتمل لترسانتها الضخمة من الأسلحة الكيماوية، التي تضم غاز الأعصاب وغيره من السموم الأخرى. وأكدت صور مراقبة أن وحدة جيش واحدة على الأقل بدأت تحويل مركبات عسكرية خاصة تقوم بنقل قنابل وقذائف مدفعية تحمل رؤوسا كيماوية حربية، حسبما أفاد المسؤولون. تلت تلك الخطوات أوامر معينة موجهة لقوات النخبة بدء تحضيرات لاستخدام الأسلحة ضد مقاتلي الثوار المتقدمين، بحسب المسؤولين. وقال مسؤولان غربيان اثنان اطلعا على النتائج الاستخباراتية، إن قوات النظام السوري أوقفت التحضيرات في وقت متأخر من الأسبوع الماضي، وإنه لم يكن هناك أي دليل على أن الأسلحة الكيماوية المفتعلة تم تحميela على طائرات أو نشرها على خط الجبهة.

تحدث المسؤولون مشترطين عدم الكشف عن هويتهم نظرا للطبيعة الحساسة للاستخبارات. ورفضت إدارة أوباما ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الرد على أسئلة تتعلق بالواقعه. وقال وزير الدفاع ليون بانيتا هذا الأسبوع إن التهديد قد خف، رغم أنه لم يتلاش تماما. وقال محللون استخباراتيون إن أوامر إعداد الأسلحة تم الإعلان عنها قبل أسبوعين، وقالوا إنه لم يكن من الواضح ما إذا كان القرار قد جاء من قادة سوريين رفيعي المستوى، ربما من بينهم الرئيس بشار الأسد أو من قائد ميداني ينوب عنه، بحسب المسؤولين.

منذ أن ظهرت مخاوف في الصيف من نقل سوريا أسلحة كيماوية بين مواقع كثيرة عبر أنحاء الدولة، تعهد المسؤولون في دمشق مرارا وتكرارا بعدم استخدام الذخائر المحظورة. وبعد التحذيرات التي وجهت الأسبوع الماضي من قبل أوباما وقاده آجانب آخرين، أكدت وزارة الخارجية السورية مجددا أنها لن تستخدم الأسلحة الكيماوية ضد قوات الثوار.

إلا أن اكتشاف خطوات قد تم اتخاذها لتفعيل الأسلحة في قاعدة عسكرية واحدة على الأقل أفسر المسؤولين الاستخباراتيين،

بسبب مخاوف من احتمال قيام قائد واحد بإطلاق العنان لسموم مميتة من دون تلقي أوامر من قيادات عليا. وأدت آخر معلومات تم كشف النقاب عنها، والتي تقدم كما من التفاصيل عن تهديد الأسلحة يفوق تلك التي كانت معروفة من قبل، وسط تقارير مفادها أن القوات السورية قد أطلقت صواريخ قصيرة المدى طراز «سكود» على موقع الثوار في الأيام الأخيرة في تصعيد للنزاع الذي دام 21 شهرا. ويعرف عن سوريا أنها تمتلك إحدى أكبر ترسانات الأسلحة الكيماوية، من بينها مخزون من غازي الأعصاب «سارين» و«في إكس». ويمكن تعبئة القذائف المدفعية أو القنابل الجوية أو رؤوس القذائف بمواد كيماوية لاستخدامها ضد مواقع القوات أو ضد أهداف مدنية.

ليس من الواضح ما إذا كانت التحذيرات الموجهة من أوباما آخرين قد تم وضعها في الحسبان في قرار النظام السوري بوقف التحضيرات المحدودة للأسلحة الكيماوية. لم يظهر القادة السوريون أي تردد في استخدام الأسلحة الفتاكـة الأخرى - من بينها القنابل العنقوية والقنابل المحرقة - لإبطاء هجوم ثوري يقترب بدرجة كبيرة من العاصمة، بحسب المسؤولين.

«إذا ما أصبح الموقف ميوسا منه بدرجة أكبر، فلا يمكن توقيـع ما سيحدث»، هذا ما قاله دبلوماسي غربي تابـعـت حـوكـمـته التطورات مع بدء ظهورها قبل أسبوعين تقريبا.

ورغم وعي الأسد بالعواقب المروعة لاستخدام الأسلحة الكيماوية، فإـمكانـ القـادـةـ الأـفـرـادـ أنـ يـحملـواـ الأمـورـ عـلـىـ عـاتـقـهـمـ إـذـاـ ماـ تمـ اـجـتـياـحـ مـوـاقـعـهـمـ، بـحـسـبـ مـسـؤـولـ اـسـتـخـارـاتـيـ شـرـقـ أـوـسـطـيـ تمـ اـطـلاـعـهـ عـلـىـ أـحـدـ النـتـائـجـ الـاسـتـخـارـاتـيـةـ. وأـكـدـ بـاـنيـتـاـ يومـ الـثـلـاثـاءـ عـلـىـ أـنـ يـبـدـوـ أـنـ التـهـيـدـ قدـ خـفـ بـعـدـ أـنـ حـذـرـ أـوـبـامـاـ الأـسـدـ بـشـكـلـ مـعـلـنـ مـنـ «ـتـبـعـاتـ»ـ اـسـتـخـارـاتـهـ الـأـسـلـحـةـ الـكـيـماـوـيـةـ،ـ المحـظـورـةـ بـمـوجـبـ الـاتـفاـقيـاتـ الـدـولـيـةـ.

«لم نر أي شيء جديد يشير إلى أي خطوات عنيفة للمضي قدما بتلك الصورة»، هـكـذـاـ تـحـدـثـ بـاـنيـتـاـ لـلـصـحـافـيـنـ أـثـنـاءـ زـيـارـةـ الـكـوـيـتـ.ـ وـقـالـ وزـيـرـ الدـفـاعـ،ـ مـشـيـراـ لـلـتـحـذـيرـ الـمـوـجـهـ مـنـ أـوـبـامـاـ إـلـىـ الأـسـدـ:ـ «ـيـحـلـ لـيـ تـصـدـيقـ أـنـ قـدـ فـهـ الرـسـالـةـ»ـ.

بدأت سوريا تجهيز ترسانة أسلحتها الكيماوية في فترتي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين كقوة موازنة ضد إسرائيل المسلحة على أعلى المستويات، التي تعتبر خصمها المفترض في نزاع مستقبلي.

يبـدوـ الـمـحـالـلـونـ الـعـسـكـرـيـونـ وـالـاسـتـخـارـاتـيـونـ مـنـقـسـمـينـ حـولـ ماـ إـذـاـ كـانـ الأـسـدـ سـيـسـتـخـدـمـ الذـخـائـرـ ضـدـ شـعـبـهـ،ـ وـهـوـ عـلـىـ قـدـمـيـهـ يـلـقـيـ إـدانـةـ دـولـيـةـ،ـ وـرـبـماـ يـتـسـبـبـ فـيـ هـجـومـ مـنـ جـانـبـ قـوـيـةـ غـرـبيـةـ.

إنـ أـسـلـحـةـ كـيـماـوـيـةـ مـثـلـ السـارـيـنـ مـصـمـمـةـ لـلـاسـتـخـدـمـ ضـدـ الـحـشـودـ الضـخـمـةـ مـنـ الـقـوـاتـ،ـ وـلـاـ تـعـتـبـرـ ذاتـ فـاعـلـيـةـ فـيـ موـاجـهـةـ الـحـالـاتـ الطـارـئـةـ فـيـ موـافـقـ الـقـتـالـ عـلـىـ مـسـافـاتـ قـصـيرـةـ.ـ غـيـرـ أـنـ الـاسـتـخـدـمـ وـاسـعـ النـطـاقـ لـتـلـكـ الذـخـائـرـ يـمـكـنـ أـنـ يـقـضـيـ عـلـىـ الـثـوـارـ بـسـقـوطـ آـلـافـ الـقـتـلـىـ وـالـمـصـابـينـ.ـ وـقـالـ جـيـفـريـ واـيـتـ،ـ محلـ عـسـكـرـيـ سابقـ لـدـيـ وكـالـةـ الـاسـتـخـارـاتـ الدـافـاعـيـةـ التـابـعـةـ لـوزـارـةـ الدـافـاعـ الـأـمـيرـكـيـةـ:ـ «ـرـبـماـ يـغـيـرـ هـذـاـ مـلـامـحـ الـلـعـبـةـ بـصـورـ هـامـةـ»ـ.ـ وـأـضـافـ:ـ «ـأـيـ اـسـتـخـدـمـ لـغـازـ سـيـكـونـ لـهـ تـأـثـيرـ نـفـسيـ مـرـوعـ وـسـيـثـيرـ كـافـةـ أـنـوـاعـ الذـعـرـ»ـ.

منـ المـمـكـنـ أـنـ تـقـتـلـ سـحـبـ غـازـ سـامـ مـؤـيـدـيـ النـظـامـ وـقـوـاتـهـ فـيـ حـالـةـ مـاـ إـذـاـ أـدـىـ تحـولـ فـيـ اـتـجـاهـ الـرـيـاحـ إـلـىـ اـنـدـفـاعـ الـمـوـادـ الـكـيـماـوـيـةـ بـاتـجـاهـ الـخـطـوـطـ الـتـيـ يـسـيـطـرـ عـلـيـهـ النـظـامـ،ـ بـحـسـبـ وـاـيـتـ.ـ وـقـالـ:ـ «ـإـنـهـ لـاـ تـمـتدـ لـأـمـيـالـ.ـ لـكـنـ عـلـيـكـ أـنـ تـرـىـ أـنـ أـيـ جـمـاعـةـ تـنـأـيـ بـهـاـ سـوـفـ يـلـحـقـ بـهـاـ ضـرـرـ فـادـحـ وـسـوـفـ تـنـتـشـرـ الـأـخـبـارـ بـسـرـعـةـ»ـ.ـ وـبـحـسـبـ نـوـعـ وـكـمـيـةـ الـأـسـلـحـةـ الـمـسـتـخـدـمـةـ،ـ يـمـكـنـ الـمـهـاجـمـيـنـ رـفـضـ دـخـولـ مـسـاحـاتـ ضـخـمـةـ مـنـ الـأـرـاضـيـ بـسـبـبـ التـأـثـيـرـاتـ طـوـيـلـةـ الـأـجـلـ لـلـسـمـومـ.ـ تـعـتـبـرـ غـازـاتـ الـأـعـصـابـ مـثـلـ السـارـيـنـ فـتـاكـةـ جـداـ،ـ إـلـىـ حـدـ أـنـ سـقـوطـ قـطـرـةـ صـغـيرـةـ مـنـهـاـ عـلـىـ الـبـشـرـةـ يـمـكـنـ أـنـ تـوـدـيـ بـحـيـاةـ أـيـ شـخـصـ.ـ بـلـ

إن مهمة علاج ضحايا الهجمات بالأسلحة الكيماوية يمكن أن تكون مميتة بالنسبة لعمال الإنقاذ والأطباء، بحسب خبراء الأسلحة.

رغم أن الخبراء عادة ما يتفقون على أن أي استخدام للأسلحة الكيماوية يمكن أن يعجل بنهاية الأسد، بحسب بعض المحللين، ربما لا يكون الرئيس السوري المحاصر على قناعة بأن المجتمع الدولي يمكن أن يشن هجوما مضادا.

المصادر: